السفير العربي

جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان

الخميس 24 نيسان 2014 ـ الموافق 24 جمادى الثانية 1435 هـ ـ العدد 12756

AS-SAFIR Arabic political daily – April 24, 2014 N° 12756

1 | 17

الصلة بين التحالفات والمغانم في الحياة السياسية التونسية يرصد «إعادة التلزيم» على هذا الصعيد. ومطالب السعوديين تتجاوز فتاوى التحريم الشائعة: اعتقالات بعد فيديوهات معترضة. 2

«ستسافرون ولأي حلم»، قصة مجد كيال المستمرة، يكتبها من حيفا بعد اعتقاله والإفراج عنه. وواقعة الاشتباكات القبلية/العرقية في أسوان وعجز السلطات عن حلها أو استقالتها من دورها. 3

«الاقتصاد اليمني ضحية الغارات الأميركية»، إذ يجري الانتقام منها بضرب شبكات الكهرباء! ولقطات من «شم النسيم» في مصر «بألف كلمة»، والمدونات من الجزائر تخص الانتخابات الرئاسية. 4

«بلاك ووتر» في الإمارات

في تشرين ثاني/نوفمبر من العام 2010، أي قبل أن يسمع العالم خارج ولاية سيدي بو زيد التونسية باسم محمد البوعزيزي، هبطت في مطار أبو ظبي طائرة خاصة على متنها مواطنين من كولومبيا أتوا تحت غطاء «العمل في قطاع البناء في الإمارات لحساب شركة بلاك ووتر الأميركية». لم يكن في هبوط تلك الطائرة وركابها ما يثير الاستغراب في بلدٍ تستقبل مطاراته في كل يوم آلاف المهاجرين للعمل، لولا خلفية الركاب والشركة التي يعملون لحسابها. فلا علاقة للشركة التي استقدمتهم بمقاولات البناء. إنها إحدى الشركات العاملة في قطاع «الخدمات الأمنية» التي ارتبط اسمها بعددٍ من أبشع التجاوزات الأمنية في العراق وأفغانستان. أما ركاب تلك الطائرة فكانوا قبل مجيئهم إلى الأمارات يعملون في القوات الخاصة في الجيش الكولومبي التي تخوض في بلادها حرب عصابات منذ الثمانينيات.

المفارقة الإماراتية

التزم المسؤولون الإماراتيون الصمت لأشهر عدة قبل الإقرار بوجود جيش مصغر من العسكريين الأجانب تدير كتائبه شركات عدة أجنبية وخاصة. ففي منتصف أيار/مايو 2011 نقلت وكالة الأنباء الإماراتية بياناً رسمياً تبين منه إن «المتعاقدين الأجانب أساسيون لتطوير القدرة العسكرية الإماراتية»، ولدعم جهود «القوات المسلحة الإماراتية في تدريب قوات الأمن العراقية والأفغانية للمساهمة في الاستقرار بالدولتين» (بي بي سي 2011/5/16). ومما يزيد في سوريالية ذلك البيان، إن الأمارات التي تعلن حاجتها للتعاقد مع شركات عسكرية وأمنية خاصة لحماية مؤسساتها ومبانيها، تقوم في الوقت نفسه بإرسال أكثر من 500 عنصر في قوة أمنية/عسكرية لمشاركة القوات السعودية في إنهاء الحراك الشعبي في البحرين.

رغم التكتم الإماراتي، أوضحت تقارير إعلامية (نيويورك تايمز 2011/5/14) ان «عمال البناء» الكولومبيين هم جزء من قوة عسكرية مؤلفة من 800 عنصر يعملون لشركة «بلاك ووتر». وإن الشركة تعاقدت مع ولي عهد أبو ظبي محمد بن زايد على تقديم خدمات أمنية وعسكرية مقابل 529 مليون دولار. وحسبما ذكر تقرير نيويورك تايمز، ستكون تلك القوات الخاصة الأجنبية «خط دفاع أخير عن الإمارات في حال تعرضها لأخطار جسيمة». تبعت تلك الدفعة القادمة من كولومبيا دفعات قدمت من بلدان أخرى بعد أن توسّع عمل بلاك ووتر في دولة الإمارات، ودخول شركات منافسة لها، خاصة بعد أن اندلعت الانتفاضات العربية ووصلت تباشيرها إلى البحرين، وبدرجات أقل بكثير إلى بقية بلدان الخليج العربي بما فيها دولة الإمارات نفسها.

نقلة نوعية في سيرة الارتزاق في الخليج

يمثل إعلان الإمارات عن تعاقدها مع شركة بلاك ووتر وغيرها من الشركات الأمنية/العسكرية الخاصة نقلة نوعيةً في سيرة الارتزاق في منطقة الخليج. فالارتزاق الأمني ليس جديداً هنا، ولكنه صار مختلفاً نوعياً عما سبقه. فلقد اعتمد شيوخ قبائل المنطقة قبل النفط وبعده على الخارج لاستيراد الأمن والمنعة، عدة وعديداً. وكان الاستيراد يأتي في صورتيْن: الأفراد والاتفاقيات الثنائية مع دول. تشكلت بدايات الصورة الأولى من أفراد «الفداوية» أي حرس شيخ القبيلة الذي يُخضِع بقوتهم بقية قبيلته ويخيف بكثرتهم القبائل الأخرى. قبل مجيء النفط، كان أبناء العبيد والقبائل الهامشية، ومن لا قبيلة لهم، هم المورِّد الذي لا ينضب للفداوية. ولكن هؤلاء الأخيرين كانوا مصدر إزعاج للسلطة البريطانية بسبب دورهم في استمرار المنازعات بين شيوخ القبائل وبسبب انفلاتهم بين الحين والآخر وقيامهم بغارات النهب والسلب على أهالي المدن والقرى.

حينها قرر البريطانيون التخلص من الفداوية بإنشاء جهاز نظامي للشرطة في البحرين في بداية العشرينيات، وبعدها في الشارقة ودبي وقطر، جعلوا عموده الفقري مجندين تم استجلابهم من البنجاب. بعد ذلك شارك البلوش الإيرانيون والباكستانيون في توفير العنصر البشري لبناء التشكيلات العسكرية التي أصبحت جيوشاً في البحرين وقطر والإمارات وعُمان. كان المرتزقة يأتون إلى مشيخات الخليج أفراداً يعرضون للإيجار قدرات جسدية واستعداداً للقتل لحماية من يدفع أجورهم. وكان أولئك المرتزقة يغادرون المنطقة أفرادا أيضاً، وخاصة حين تتحول الأمور إلى مواجهات فعلية مع معارضي النظام الذي يقومون بحمايته. أما الصورة الثانية فهي عبر علاقات ثنائية مع دول أخرى. كانت بريطانيا حتى بداية السبعينيات من القرن العشرين هي من تتولى مهمات التدريب والتنظيم والقيادة. وبقيَ الحال كذلك في ما يتعلق بالبحرين والإمارات وقطر حتى بعد إعلان استقلال هذه المشيخات في العام 1971. تجدر الإشارة إلى أن الاستثناء الوحيد لهاتين الصورتيْن حدث حين استعان سلطان عُمان في أواخر الستينيات من القرن الماضي بشركة بريطانية خاصة («إنترناشونال ووتش غارد») لتدريب الحرس السلطاني. (إلا أن وثائق الأرشيف البريطاني المعلنة لاحقاً كشفت إن تلك الشركة كانت واجهة للحكومة البريطانية).

دخلت دولٌ أخرى على الخط بعد الطفرة النفطية في منتصف سبعينيات القرن الماضي. وبرز من الدول الإقليمية كلٌ من باكستان والأردن اللتين عقدتا منذ عقود اتفاقيات ثنائية مع مختلف بلدان الخليج العربي لتوريد العناصر البشرية والخبرات اللازمة لتدريب قوى الأمن والقوات المسلحة. وحسبما تسرب في الأشهر الأخيرة، فإن تلك الاتفاقيات قلصت كثيراً دور التجنيد الفردي لمصلحة التجنيد الجماعي وبإدارة الأجهزة المعنية في باكستان والأردن. فلم يعد المرتزق فرداً مغامراً يأتي لفترة يختارها تطول أو تقصر، بل هو جزء من علاقة حميمة سياسيا واقتصاديا بين بلاده والبلد الخليجي الذي يعمل فيه. ولقد تبين عبر وثائق مسربة، ان الأردن أرسل قبل أشهر قوة مكونة من أكثر من 500 عنصر وضابط أمن للخدمة في البحرين. واستنادا إلى تلك الوثائق، ستتمكن الجهة الأردنية من التحكم في نوعية المستفيدين من رواتب الخدمة في الخليج مقابل أن تضمن للبحرين عدم اندساس عناصر غير ملائمة. أما في باكستان، فتجد الحكومة، بسبب حساسية الرأي العام، صعوبة في تطبيق النموذج الأردني. إلا أن الملاحظ هو ازدياد الاعتماد على شركات قريبة لوزارة الدفاع الباكستانية متخصصة في توريد العناصر الأمنية والعسكرية إلى دول الخليج، مما يضمن بشكل خاص عدم اندساس مجندين من خلفيات دينية أو اجتماعية غير مرغوبة.

بلاك ووتر أيام العراق (من الانترنت)

تسليع الارتزاق وخصخصة الأمن

لقد فرضت النيوليبرالية على دول كثيرة أن تتخلى عن دورها كوكيلة عن المجتمع في مراقبة وضبط أنشطة التبادل في السوق وغيرها من الأنشطة الاقتصادية. ورأينا بلدانا كثيرة تتجه إلى فرض إيكال مهمات حماية أمن المجتمعات إلى السوق، ممثلة بالشركات الأمنية والعسكرية الخاصة. وشهد العالم نمو هذا النوع من الشركات خلال العشرين سنة الماضية. ففي أفغانستان وحدها أشارت تقديرات (2013) إلى إن عدد تلك الشركات تجاوز الخمسين، وإنها تقوم بتشغيل أكثر من مئة ألف عنصر. ثمة أسباب عدة لهذا النمو. فبالنسبة للإدارة الأميركية، أثبتت الشركات الأمنية انها أداة عملية وغير مكلفة سياسيا لفرض السياسة الأميركية في وقت لم يعد التدخل العسكري المباشر ممكناً، لعوامل داخلية تتعلق بحساسيات الرأي العام الأميركي من جهة، ولعوامل خارجية تتعلق بالقواعد التي يفرضها توازن القوى الدولي وانعكاساته في مناطق النزاع وفي مجلس الأمن. ومن جهة أخرى يبدو التوجه لإشراك السوق في مجالات الخدمات الأمنية والعسكرية بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية منسجماً تماماً مع الأيديولوجية النيوليبرالية التي تبارك إطلاق حرية السوق وشروطها في مختلف المجالات، حتى ولو نجم عن ذلك تهميش «فئات معينة» وحتى حرمانها من الاستفادة من الخدمات التربوية والصحية والاجتماعية. وقد رأينا أثر هذا التفضيل الأيديولوجي، ليس في تزايد الشركات الأمنية الخاصة فحسب، بل وحتى الشركات الخاصة التي تدير السجون وإصلاحيات الأحداث ومراكز تسفير «المهاجرين غير الشرعيين».

الأمن المستورد لا يحمي

تتداخل الخدمات الأمنية والعسكرية التي تقدمها هذه الشركات. فلم تعد الخدمات «الأمنية» محصورة في تجنيد أفراد مفتولي العضلات يزبدون الموكب الرسمي هيبة ويخيفون من يحاول الاقتراب من الشخصيات أو المؤسسات المحروسة. ولم تعد العضلات المفتولة تكفي لحماية المسؤول سواء من خطر سيارات مفخخة أو من غضب جماهيري. ولم يعد ما هو مطلوب حمايته محصوراً في أشخاص مسؤولين وأفراد عوائلهم، بل صار يشمل حماية الشركات والمجمعات السكنية والتجارية التي يمتلكها أولئك المسؤولون واقاربهم. من جهتها، لا تنحصر الخدمات التي تتولاها الشركات العسكرية في التدريب والأعمال اللوجيستية، بل تقوم أساساً على توفير جيش مصغر يضع خططه العسكرية ويتولى توفير ما هو مطلوب لتنفيذها بما في ذلك القيام بعمليات قتالية.

حين وقع ولي عهد أبو ظبي عقد تكليف شركة بلاك ووتر بمهمات أمنية وعسكرية في بلاده، لم يكن يوقع عقداً لبناء مجمع تجاري أو سكني، بل كان في واقع الأمر يعلن زج الإمارات بقوة في واحدة من أسوأ تداعيات النيوليبرالية، أي خصخصة شؤون الأمن والدفاع، أي بما يسمح لشركة خاصة أميركية أو بريطانية أو عابرة للجنسيات أن تستخدم جنوداً من النيبال أو أيسلندة لضبط الأمن في شوارع أبو ظبي أو دبي. كما فعلت يوما شركة بلاك ووتر في شوارع بغداد وساحاتها. ربما ظن محمد بن زايد انه يتلاءم من متطلبات «التطور» التي فرضت على أبيه أن يتحول من نظام الفداوية إلى نظام حديث بإنشاء أجهزة الشرطة والقوات المسلحة النظامية. ولهذا ربما رأيناه يقوم بذلك التحول بالطريقة نفسها التي اتبعها أبوه، أي باستيراد ما يلزم من معدات وعناصر بشرية وخبرات وتقاليد. والشيخ زايد كان يعرف ان الأمن المستوَرد لا يحمي إلا بشروط يقررها مصدر ذلك الأمن... وقد قبل تلك الشروط حين أتى إلى سدة الحكم في 1966 بعد أن أزاح البريطانيون أخاه الشيخ شخبوط الذي كان حاكم المشيخة وقتها.

عبد الهادي خلف

أستاذ علم الاجتماع السياسي في جامعة لوند ـ السويد، من البحرين

قصة المخدرات يرويها تلامذة من الدار البيضاء

على سقف قاعة درس بثانوية في ضواحي الدار البيضاء بقع سوداء تتزايد بين حين وآخر، فحصت واحدة فإذا هي قماش أسود فيه حناء. حين سألتُ ما هذا، تلقيت جوابا موجزا «مخدرات». لم يكن الجواب الشفوي كافيا، لذلك طلبت من التلاميذ في امتحان الإنشاء الكتابة عن أنواع المخدرات وأشكال استخدامها في الثانوية.

حصلت على كنز ثمين في مائة وعشرين ورقة فذهبت ذات صباح إلى مقهى لتصحيحها. على جدار المقهى لافتة «ممنوع استعمال المخدرات». جلست أسفل اللافتة. في الجو دخان حشيش كثيف. على الطاولات قهوة سوداء وقطع حشيش أشبه بعنبر. كانت الجلسة صباحية بين أربعة حشاشين. وفي حواراتهم معجم ديني كثيف عن المعوذات وأذكار النوم... لا أصدق أذني. أتجنب أن ألتفت وأتابع تسجيل ما أسمع مع حذف ما لن يصدقه قارئي مثل الزعم أن الحشيش يجعل الله قريبا. وهذا ما قرأته عن بعض الصوفية وتأكد لي في المقهى. يحكي الحشاش خلفي نكتة عن زوج ذكي يسمّي عشيقته على هاتفه «بطارية ضعيفة»، وكلما رن الهاتف ظهر الاسم على شاشة الهاتف فتقوم الزوجة حسنة النية بشحن الهاتف بدل الرد على الاتصال... مع توالي النكات يستمر حرق قطع الحشيش فتصير دخانا وبذلك فإني أحشش بحكم الظرف. هذه كلفة السوسيولوجي البصاص الملزم بالكتابة من عين المكان. وقد رأيت نادل المقهى الشاب يدخن الحشيش وهو مقرفص بين الكراسي ويطوي كفه على السيجارة الملفومة كي لا تظهر. وقد أحرجه أني أراقبه كلما أخذ نفسا. سجلت ما يكفي من الملاحظات وغادرت المكان قبل أن ينتقل دخان الحشيش من رئتي إلى عقلي فحروفي. يبدو أن صاحب المقهى كتب اللافتة لتقرأها الشرطة إنْ داهمت المكان. وبذلك فهو بريء.

وحرصا على عقلي من تحذير المتنبي من كل مخدر يذهب بلب المرء وأدبه، جلست في مقهى له بهو في الهواء الطلق لأصحح أوراق الامتحان. إليكم النتيجة بعد غربلة وإعادة صياغة لأحكي لكم حكاية الحشيش.

«المخدرات مواد عشبية وكيماوية»، هذا هو التعريف. أما عن المراحل فيبدأ تعاطي المخدرات في مرحاض الذكور بالثانوية، بالتدخين بفخر مع المص بالفم وترك الدخان يخرج تدريجيا من الأنف، هذه سيجارة إعلان الرجولة والبطولة. يحصل هذا في سن الخامسة عشرة. ثم يقرر البطل أن يذوق حشيشا في فترات متباعدة تتقارب تدريجيا. ومع كل تعاطٍ تزيد كمية الجرعة لتكون مؤثرة. وبعد وقت يصير مدمنا وتمتص المخدرات كل نقوده، وقد يسرق من أهله ليشتري وغالبا يترك الدراسة ويقع في ذلّ الإدمان.

هذا هو ملخص القصة كما كتبت في أوراق التلامذة، من مقدمة وعقدة ونهاية تراجيدية. والآن إلى التفاصيل:

في المخدرات هناك ما يشم وما يمص وما يدخن وما يؤكل وما يشرب وما يحقن. هذه ست طرق بينما حواس الإنسان خمس.

في باب المص هناك «الكالة» وهي وضع مسحوق التبغ الأسود في منديل صغير ووضعه تحت الشفة السفلى. ومن فوائدها الفورية تشتيت الانتباه وتبديد قدرة استيعاب الدروس. ومن أضرارها اسوداد ثم هشاشة الأسنان. وهي تمنح لمستخدمها ميزة بصرية، فلون شفتيه غير موحد، السفلى سمراء والعليا بيضاء.

ثمن «الكالة» رخيص، أقل من دولار، ويسهل الحصول عليها. وحين ينتهي منها المستخدم يسدد على سقف الفصل فتلصق هناك نقط سوداء فوق رأس الأستاذ.

ومما يشم ويشفط «النفحة». وهي رسم خط مستقيم من مسحوق التبغ الأسود على ظهر الكف ثم يستنشق عبر الأنف ليصل الرئة ويكون رد فعلها عطاس شديد. وهذا يحصل للمبتدئ. والنفحة مسكّن. وكان المتصوفة يستخدمونها بكثرة. ومما يشم أيضا الدوليو (مادة تضاف للصباغة) و السيليسيون (مادة للصق الكاوتشوك) يوضع في كيس بلاستيكي ويتنفس فيه المستهلك استنشاقا وزفيرا... تزعزع رائحة سيليسيون والدوليو العقل تماما عن طريق الأنف. في الكثير من جملي التوضيحية قبس من أسلوب القذافي الذي يكتب على قنينة ماء «تشرب» حتى لا تؤكل.

ومما يشرب «القرقوبي» وهي حبوب هلوسة حمراء. من فوائدها المطلوبة زيادة شجاعة المستهلك فيظهر له الأسد قطا أليفا. ينعدم لديه الإحساس الجلدي. حتى أن المستهلك يمزق جلده بسكين دون ألم حينها... أخذت هذه المعلومات المسلحة بعين الاعتبار لحظة وضعي لعلامات (نقاط) بعض التلاميذ. ومن أضرار القرقوبي حمرة العين وتقلص حجم الجسم (باستثناء الأذنين) والفوضى داخل الفصول الدراسية وتحصيل علامات غير مستحقة.

ومما يحقن مواد مخدرة عبر الوريد، يلقح مستخدمها نفسه ضد العقل. يخدر دماغه ليتصرف بشكل غريب. معلومات التلميذ في هذا الباب فقيرة لأن ثمن الحقن عال وهي حكر على أولاد الأغنياء...

ومما يؤكل «المعجون» وهو خليط من مسحوق الحشيش مع الدقيق واللوز والشوكولاتة. يستخدم كثيرا في رمضان بدل الخمر لأن الله لم يحرم الحشيش نصّيا. ومن فوائد المعجون الفورية أنه يؤثر على خلايا العين فتتغير أحجام الأشياء التي يراها آكله، فيرى أن السقف يكاد يسقط على رأسه، يرى الوجوه قريبة ضخمة جدا كأنه يصور بزوم رقم ثمانية عشر. المعجون هو المادة الوحيدة التي تعطل السمع الذي يعمل عادة أربعا وعشرين ساعة. يشعر مستهلك المعجون كأنه في قاع بئر وتأتيه الأصوات من بعيد... الفائدة الكبرى للمعجون هي نوبات فرح وضحك منفلت... المعجون علاج فوري لهموم الشباب التعيس، وهو الباب الأول للفتيات لدخول عالم المخدرات. وله الأولوية لأنه بلا رائحة بخلاف الخمر والسجائر. لا يكتشفه الأهل.

ومما يدخن، وهو سيد المجال، «الحشيش» ـ وهو زهرة القنب الهندي المغربي أبا عن جد ـ المحروق والمخلوط بالتبغ الأصفر. وحسب العارفين ـ وهنا جواب التلاميذ موسوعي بسبب كثرة المستخدمين في الشوارع والبيوت ـ يقال والله أعلم إن الحشيش منبه، وبفضله يزعم المغاربة أنهم أذكى شعب في العالم.

يزعم الحشاشون أن الحشيش يساعد على التركيز والتفكير أحادي الاتجاه. بعد قطعة جيدة يرى الحشاش اللون الذي يحبه يسيطر على العالم ويقوم بجولة حول العالم في ثمانين ثانية. يسمو عن نفسه... الحشيش أيضا سامي، لا ينبت إلا على ارتفاع ألف متر من سطح البحر.

أنهيت تصحيح الامتحان، حصل التلاميذ المطلعون على أعلى النقاط لأنهم يصفون الحشيش بالمعايشة. أما التلميذات المجتهدات فيتحدثن عن الموضوع على السماع. ومن سمع ليس كمن شمّ. سأعدّل مزاج النقاط لاحقا.

أنا أيضا مستمع. لذا عرضت ما سبق من معارف على جليسي في المقهى وهو حشاش عتيق مثقف. حذفتُ ما اعترض عليه، وما بقي بصم عليه بالعشرة. تحدثنا في السياسة سنة وشيعة وأمازيغ وأكرادا... اتضح أنه مطلع ومعجب بالقذافي لأنه توقع كل ما يجري الآن بين المحيط والخليج. لجليسي وجهات نظر مُحششة عنيدة ذات اتجاه واحد وبعد واحد، مطلقة لا يتسرب لها الشك وهذا يدهشني أنا الغارق في النسبي...

بعد لحظة صمت طويلة دخل جليسي في مرافعة قوية عن الحشيش، قال: الخطير ليس أربع قطع حشيش يوميا بل أربعون سيجارة يوميا. التبغ أكثر أذى من الحشيش. في التبغ آلاف المواد السامة. الحشيش مخدر لين والحمد لله. الحشيش أقل ضررا من الطائفية.

(من الانترنت)

محمد بنعزيز

كاتب وسينمائي من المغرب

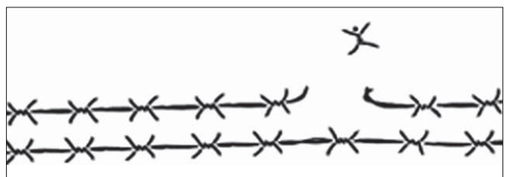

هل تعرفون عمر حاذق؟

لو لم يُعتقل عمر حاذق، الشاعر المصري الشاب، ابن الإسكندرية، إثر وقفة احتجاجية نهاية العام الفائت أمام محكمة كانت تنظر في التصفية التي تعرض لها صديقه خالد سعيد قبل ثلاث سنوات، مع بدايات الثورة، لربما كان بقي فحسب في عداد الشعراء المميزين من أبناء جيله، حيث بدأ يحوز نجومية وجوائز في مهرجانات عربية وعالمية. ولو لم يُطرد من عمله قبل أيام، لربما كان بقي في عداد المعتقلين والمعتقلات (هو محكوم بثلاث سنوات!) الذين راحت تضيق بهم السجون في مصر، ممن ليسوا إخوانا ولا إرهابيين. وهذا يضع السلطات أمام تناقض مسلكها. فما دام «العدو» حصرا هو هؤلاء الخارجين عن الأمة (المصرية!) وعن الإجماع الوطني، فماذا يفعل في المعتقلات أناس من أمثال شاعرنا وأحمد دومة أو قبلهما علاء عبد الفتاح (أطلق أخيراً) ومعهم من يقال انهم 26 ألف معتقل بتهمة «مخالفة قانون التظاهر»... الذي سُنّ ما إن انتهت التظاهرة المليونية الكبرى في 30 حزيران/ يونيو الماضي، التي مهدت للتغيير اللاحق عليها بعد ثلاثة أيام بحجة الضرورة الداهمة: أن يتدخل الجيش لدرء خطر وقوع انشقاق وطني وتصادم أهلي.. فعُزل مرسي وظُهِّر الجنرال السيسي.

والمفارقة الثانية أن قرار طرد عمر من عمله اتخذه بكل تعالٍ إسماعيل سراج الدين، مدير مكتبة الإسكندرية التي بُنيتْ لتكون صرحاً عالميا يستحضر المكتبة التي احرقها الرومان ويقدم وجها حضاريا معاصرا لمصر. والدكتور سراج الدين (خريج هارفرد ولديه 22 دكتوراه فخرية!) من أعمدة نظام مبارك البائد، كما كان قبلا، ولسنوات، نائبا لرئيس البنك الدولي في واشنطن... وهو ملاحق أمام المحاكم المصرية بتهم إهدار المال العام (يُحكى عن 20 مليون جنيه بحسب لائحة الاتهام)، والفساد المالي والإداري، بينما تؤجل جلسات محاكمته من سنة إلى أخرى بقدرة قادر. سراج الدين صرف عمر من الخدمة بحجة التظاهر، علما بأن لوائح المكتبة تحدد «الجرائم التي تخل بالشرف» (ومنها السرقة!) كسبب وحيد مجيز للصرف.

ثمة قشة تقصم ظهر البعير. نقطة تُطْفح الكيل. تفصيل صغير يفضح الابتذال. مصر تستحق مكتبة الإسكندرية ولا تستحق هذا الهزل المقيت الجاري فوق سطحها.

نهلة الشهال

العربي
السفير

ملف

6 ملايين عراقي يعيشون تحت خط الفقر من أصل نحو 33 مليوناً، في بلد تتجاوز موازنته المالية السنوية 100 مليار دولار. أعلن ذلك السيد عبد المهدي الكربلائي، وكيل آية الله السيستاني في كربلاء، بمناسبة الانتخابات النيابية الوشيكة، مستعيداً إعلانا مماثلا منذ أشهر لمكتب بعثة الأمم المتحدة في العراق.

تونس: في الصلة بين التحالفات والمغانم

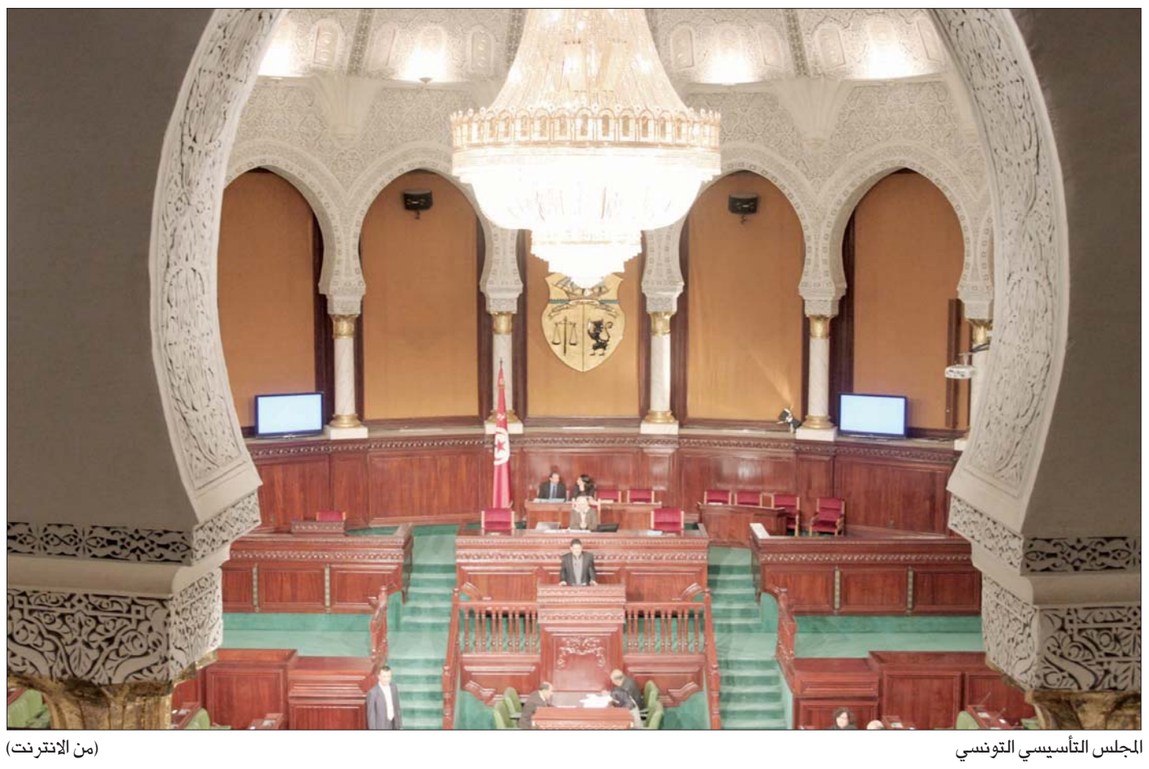

طوت تونس صفحة من صفحات الانتقال الديموقراطي، حين تمّ الإعلان عن تبنّي الدستور الجديد في كانون الثاني/يناير الماضي، الذي انسحبت على إثره حكومة الائتلاف الثلاثي بقيادة الإسلاميين لمصلحة تولّي حكومة من الكفاءات المستقلّة مهمة إدارة شؤون البلاد حتّى الانتخابات المقبلة. إلاّ أنّه لا يجوز المرور سريعا على هذه الفترة التّي هيكلت المشهد السياسي التونسي، خصوصاً لجهة صعود حركة النهضة الإسلاميّة إلى السلطة وتحالفها مع أحزاب علمانيّة في مقابل تكتّل جزء هام من الأحزاب المعارضة حول حركة «نداء تونس» التّي أعادت تجميع أجزاء واسعة من شبكات النظام القديم. فقد برز استقطاب ثنائي حادّ داخل المشهد السياسي لعبت ظاهرة ما يسميه التونسيون «المناولة السياسيّة»، (وهي معادل «التلزيم السياسي)، دورا أساسيّا في إذكائه. التلزيم في السياسة كما في الاقتصاد يقوم على توزيع الأدوار بين أحزاب كبرى تضطلع بأدوار رئيسيّة بينما تُعطى للأحزاب السياسيّة التّي حالفتها أدواراً ثانويّة مقابل المشاركة في السلطة، وفي مغانمها في الحاضر او المستقبل.

السرديّة الكبرى لتحالف المعتدلين الإسلاميين والعلمانيين

لم تكن تحالف حركة النهضة مع حزبي «المؤتمر من اجل الجمهوريّة» و«التكتّل الديموقراطي للعمل والحريّات» مجرّد تحالف أملته الضرورة بحكم النتائج التّي أفرزتها صناديق الاقتراع في انتخابات المجلس الوطني التاسيسي، خاصّة أنّ الإسلاميين لم يحصلوا على الأغلبيّة الكافيّة ليحكموا وحدهم (نالوا 42 في المئة من المقاعد). فقد حرصت حركة النهضة على وضع هذا الائتلاف في إطار سرديّة كبرى للانتقال الديموقراطي، تقوم على «تحالف الإسلاميين المعتدلين والعلمانيين المعتدلين». استطاعت النهضة تسويق هذا التحالف، خصوصا في الخارج، كتجربة عمليّة قادرة على تجاوز الانقسام الذي طالما عانت منه الطبقة السياسيّة بين من يقبل بإدماج الإسلاميين في اللعبة السياسيّة وبين من يُقصيهم ويرفض التعامل معهم، مستندا في ذلك إلى ضرورة الدفاع عن النموذج المجتمعي الحداثي. في الواقع، عكست تجربة الترويكا براغماتيّة الإسلاميين وإدراكهم لأهميّة الحصول على الدعم الخارجي، سياسيّا كان أم اقتصاديا، عن طريق إعطاء ضمانات عبر التحالف مع هذه الأحزاب العلمانيّة، وكذلك حرصهم على تكوين درع تمنحهم هامشا للمناورة ولتوزيع الأدوار، وتقيهم من هجمات معارضيهم، سواء تعلّق الأمر بخياراتهم السياسيّة أم بغموض مرجعيّتهم الفكريّة. لعبت مقولة «تحالف الإسلاميين المعتدلين والعلمانيين المعتدلين» دورا أساسيّا في ترويج صورة تونس «التلميذ النجيب» القادر على موائمة الإسلام و الديموقراطيّة، في استعادة لمساعي نظام بن علي إلى تسويق نموذج تونس «التلميذ النجيب» للمؤسّسات الماليّة العالميّة، القادر على التكيّف مع شروطها المجحفة والإيفاء بتعهّداته إزاءها. يعلم الإسلاميّون جيّدا أنّ تسويق نموذج هكذا يعني الإقرار ضمنيّا بمركزيّة الحضارة الغربيّة واطلاقيّة قيمها، لكنّهم يعون جيّدا أيضا انّ التبعيّة هي ثمن التمكين أو على الأقلّ ثمن تطبيع وجودهم كقوّة سياسيّة مراهنة على حكم البلد في السنوات القادمة. في المقابل وجدت قيادات «المؤتمر» و«التكتّل» في المشاركة في السلطة فرصة لتقوية موارد أحزابها، والتمكّن من مواقع سياسيّة واجتماعية ظلّوا طويلا مقصيين منها. وهما استماتا في الدفاع عن حليفهما الأكبر، ضدّ مصلحتهما أحيانا كما فعل حزب المؤتمر عندما هاجم المعارضة التّي طالبت بتوسيع صلاحيّات رئيس الدولة لضمان نوع من التوازن على رأس السلطة التنفيذيّة (وكان الحزب يحتل موقع الرئاسة)، وكذلك ضدّ مبادئ الديموقراطيّة الاجتماعية التّي دافعا عنها في حملتهما الانتخابيّة عندما دعما الخيارات الاجتماعية والاقتصادية المجحفة التّي تبنّتها حكومتا الترويكا، خصوصا في علاقة ذلك بتفاقم المديونيّة وغياب الإصلاح الضريبي، وفي مهادنة رموز وشبكات الفساد... وهو ما دفع محمّد عبّو الوزير المكلّف بالإصلاح الإداري إلى الاستقالة من الحكومة الأولى التّي ترأسها حمّادي الجبالي، والانسحاب في ما بعد من حزب المؤتمر احتجاجا على ارتهان قراره لحليفه الأكبر.

المجلس التأسيسي التونسي (من الانترنت)

تصدّع الأحزاب العلمانيّة المشاركة في الترويكا قابله تماسك حركة النهضة التّي وجدت في هذا الائتلاف الحكومي فرصة لتجاوز التناقضات السياسيّة التّي كان محورها موقفها من استحقاقات الثورة. فلقد وضعت تجربة السلطة حركة النهضة على المحكّ، خصوصا انّ حسابات السياسة وموازين القوى دفعتها لتقديم تنازلات كان أبرزها الدخول في مواجهة مع السلفيين عقب أحداث السفارة الأميركيّة، والتبرّؤ من ميليشيات روابط حماية الثورة بعد اغتيال شكري بلعيد، بالإضافة إلى القبول بالحوار الوطني عقب اغتيال محمّد البرّاهمي. المفارقة أنّ حزب المؤتمر سعى في كلّ مرّة إلى رفع سقف المطالب عبر رفض حلّ جماعات حماية الثورة، ورفض المشاركة في الحوار الوطني رغم ما نجم عن هذا القرار من تهميش لموقع رئاسة الجمهوريّة في مرحلة مفصليّة من الانتقال الديموقراطي. سعت قيادة حركة النهضة إلى التذرّع باكراهات السياسة لتبرير خياراتها وامتصاص غضب قواعدها، فيما كان حليفها حزب المؤتمر يلعب دور «مخلب القطّ» لحليفه الإسلامي في إطار توزيع الأدوار مقابل ما حصلت عليه قيادته من مواقع ومناصب، غير مكترثة بانعكاسات هذه المواقف على شعبيته وعلى تماسكه بعد ان توالت الانشقاقات في صفوفه. في الواقع، يعكس التذرّع باكراهات السياسة في خطاب الإسلاميين تنامي الحسّ البراغماتي والنزعة الواقعيّة التّي جعلت النهضة تنخرط في التسويّات وبناء التوافقات التّي تحكمها حسابات الربح والخسارة، وسعيها إلى التوجّه إلى جمهور عريض من الناخبين يتجاوز قواعدها التقليديّة. خروج النهضة من الأزمات التي اعترضتها في الحكم تمّ في جانب كبير بدفع حلفائها الى تبني المسائل الخلافيّة والمواقف القصوويّة، للظهور بمظهر الحزب الوطني المسؤول، الباحث عن الاعتدال والتوافق.

لم تكن الترويكا وليدة تموقع انتهازي غير مبدئي بالكامل، خاصّة وأنّ عمليّة إدماج الإسلاميين في المشهد السياسي كانت بدأت منذ تحرّكات ما يُعرف بـ«18 أكتوبر 2005» وهو تحالف نشأ وقتها في إطار رصّ المعارضة لصفوفها لمقاومة ديكتاتوريّة بن علي، على الرغم من أنّ مصطفى بن جعفر وحزبه كانا رفضا الانخراط في هذا التحالف آنذاك، باعتباره يرفع سقف المواجهة مع النظام إلى مستويات يصعب تحمّل تبعاتها. كما أنّ الترويكا ليست تحالفا بين أنداد حول برامج أو رؤى سياسيّة متقاربة، لأنّ النتائج التّي خرجت من صناديق الاقتراع أثبتت الأوزان المتفاوتة للأحزاب المتحالفة، لأنّ أدبيات ومرجعيّات هذه الأحزاب مختلفة تماما. كانت الترويكا في الواقع تجمّعا غير متكافئ وخاضع لعلاقة تلزيم أشبه بالعلاقة الزبونيّة التّي كان الإسلاميّون محورها، والتّي حدّدتها مجموعة عوامل أهمّها حسابات المرحلة والطموحات الشخصيّة لقيادات هذه الأحزاب وأطماع المشاركة في غنيمة السلطة. بهذا المعنى شارك «المناولون» (أو اللزّامون) حركة النهضة الحكومة ولم يشاركوها الحكم. كانت قلب الرحى وكانوا أوراقا تعيد توزيعها وفق مقتضيات اللّحظة السياسيّة. وفي اللّحظة التّي تمرّد فيها حزب التكتّل بإعلان زعيمه مصطفى بن جعفر رئيس المجلس التأسيسي تجميد أعمال المجلس ليضغط على حركة النهضة ويُجبرها على الجلوس إلى مائدة الحوار، كانت الترويكا قد انتهت، ووقعت على إعلان خروجها من السلطة معلنة دخول المرحلة الانتقاليّة في فصل جديد.

أزمة الأحزاب المعارضة للديكتاتوريّة

لم يكن «التلزيم» السياسي حكرا على الأحزاب المشاركة في السلطة، فلقد انخرطت فيه أحزاب طامحة في افتكاك السلطة، مساهمة بذلك في تدعيم الاستقطاب الثنائي الذّي عرفته السّاحة السياسيّة منذ صعود الترويكا للحكم. كان هذا حال الحزب الجمهوري بقيادة احمد نجيب الشّابي، والجبهة الشعبيّة بقيادة أمينها العّام حمّة الهمّامي، اللذّين تحالفا مع «حركة نداء تونس» في إطار جبهة الإنقاذ، مساهمين بذلك في فكّ العزلة عن نظام بن علي السّابق، وفي تطبيع وجوده داخل المشهد السيّاسي بإسم الدفاع عن الحداثة والتصدّي لتغوّل حركة النهضة التّي تعمل على تدعيم سيطرتها على مفاصل الدولة. احاطت «حركة نداء تونس» نفسها بحلفائها الجدد وعاد الإسلاميّون ليكونوا محور الفرز بدلا من تفكيك منظومة الفساد والاستبداد، وعلى حساب ذلك. كانت المحصّلة احتدام الصراع «بين من لا مشروع له إلاّ البقاء في السلطة، ومن لا مشروع له إلاّ العودة إليها بصرف النظر عن ديباجات التديّن لدى هذا الطرف وديباجات الحداثة لدى الطرف الآخر، في مقابل تراجع قوى الثورة وشعاراتها»، كما يقول محمّد الحامدي أمين عامّ «التحالف الديموقراطي» الرّافض لهذا الاستقطاب بين حزبين يمينيين، والذّي طالما كانت الأحزاب الوسطيّة واليساريّة وقوده في إطار لعبة التلزيم.

برز التلزيم السياسي إذاً كنتيجة حتميّة لاحتدام الصراع على السلطة وعلى مغانمها بين أحزاب لا تملك برامج لإخراج البلد من أزمته، ولا امتدادا شعبيّا يُمكّنها من الوصول إلى الحكم عبر صناديق الاقتراع، ولكنّها في المقابل تسعى إلى جني ثمار وجودها في السّاحة السياسيّة بعد ان عاشت طويلا في المعارضة بل وفي مقاومة الديكتاتوريّة. المفارقة انّ سقوط الديكتاتوريّة كان في الواقع إيذانا بانتهاء صلاحيّة هذه الأحزاب لتفسح المجال امام ظهور قوى قادرة على صياغة البرامج وعلى البناء. لم تُغيّر هذه الأحزاب بنيتها ولا قيادتها، وفي كثير من الأحيان لم تُغيّر حتّى خطابها. و كان انخراطها في سوق التلزيم السياسي بالتّالي أمرا حتميّا. فقدانها للعمق الشعبي وللحيويّة وللاستثمار في المستقبل جعلها تستعجل حصد المغانم، وتعود بالزمن السيّاسي في البلد الى الماضي، مستحضرة نضالاتها السابقة ضدّ الاستبداد تارة وضد الفرز على أساس هوياتي طورا. كانت هذه الأحزاب رهينة الزمن البائد (والعهد البائد)، وفشلت في التحوّل لأحزاب تمتلك مضامين ومشاريع للمستقبل لينتهي بها الأمر في سوق التلزيم متقمّصة أدوارا مصطنعة كحماية البلاد من ديكتاتوريّة دينيّة ناشئة («الجبهة الشعبيّة» و«الحزب الجمهوري») لتبرير تحالفها مع «نداء تونس»، أو حماية البلاد من عودة الاستبداد القديم («المؤتمر من اجل الجمهوريّة»). هكذا تضع فترة الانتقال الديموقراطي الأحزاب والمشاريع ومستقبل السياسيين على المحكّ، كمرحلة حرجة يكون الفشل فيها مكلفا جدّا.

حمزة المؤدب

باحث في المعهد الأوروبي في فلورنسا من تونس

مطالب السعوديين بين فتاوى «البوفيه» و«حماية المؤخرات»

تطلب الأمر ثلاث سنوات حتى تمر رياح الانتفاضة العربية التي انطلقت من تونس فوق الأراضي السعودية. استقبلها عبد العزيز الدوسري بداية، ووجهها بدوره إلى مواطنيه عبر تسجيل لمقطع فيديو خاطب فيه الملك السعودي عبد الله بن عبد العزيز، مطالباً بتوزيع الثروات، قبل أن يلمح الى أن الشعب ليس عاجزا عن اتخاذ العنف كوسيلة لتحقيق مطالبه. وفي نهاية المقطع، أشهر الدوسري بطاقته المدنية كتعبير عن عدم خوفه من المطالبة بحقوقه. بعد اقل من أربع وعشرين ساعة، ظهر تسجيل آخر للمواطن عبد الله الغامدي يؤيد فيه الدوسري، ويحث المواطنين على القيام بالمطالبة بحقوقهم بالطريقة نفسها. وما أن بث العسيري تسجيله حتى انهمرت تسجيلات المطالبين بحقوقهم على مواقع التواصل الاجتماعي من جميع أنحاء المملكة.

من داخل المملكة

مطالب المحتجين تنوعت. فمنهم من طالب أولا بالإفراج عن الدوسري ورفيقه الغامدي بعد أن تم اعتقالهما، ومنهم من طالب بتوفير السكن وفرص العمل وزيادة الأجور وغيرها من المطالب الاجتماعية. لم تخلُ التسجيلات من الهجوم على الأسرة السعودية الحاكمة والنظام ككل. وهذا مدهش بالنظر إلى أن المحتجين يتحدثون من داخل المملكة، مبرزين بطاقات الهوية عند نهاية كل تسجيل، مما يعرضهم للاعتقال، وهذا ما حدث فعلا. ولكن النقطة المهمة الأخرى هي هجوم المتحدثين في التسجيلات على الخطاب الديني الرسمي السعودي ورموزه. فقد جرت العادة أن تتم مهاجمة علماء الدين السعوديين من قبل جماعات متشددة، أو من قبل مثقفين غير إسلاميين، يكتفون بطرح قضايا فكرية ليس لها صلة بالدفاع عن المواطنين وحقوقهم. لكن في تسجيلات المحتجين، بدا الهجوم بعيدا عن أي قضايا فكرية أو اجتهادات دينيه، بل كانت ركيزته تتعلق بدعم المشايخ للظلم والفساد والحيلولة دون المواطن والمطالبة بحقوقه.

الفتاوى تدعم السلطان

الظلم المُمارس على السعوديين يأتي مباشرة من السلطة. ولكن من يعش في السعودية، يعرف جيداً ما مدى اثر الفتوى على الناس وفاعليتها في تشكيل الرأي العام تجاه أي قضية. وطالما عمد مشايخ السعودية الذين يشغلون مناصب رسمية إلي توظيف الدين لخدمه النظام. فلا يتوانون عن طرح قضايا سياسية أو اقتصادية في أي وقت وشكل حسب الطلب. ولكن في مواجهة الغضب الشعبي المطرد بسبب غياب العدالة الاجتماعية، يتخذ العلماء طريقين يفضيان الى المحطة نفسها. علماء الطريق الأول يمارسون سياسة استباقية لتقويض أي مطالبة بتحقيق العدالة الاجتماعية عبر تخدير المواطن من الأساس وإشغاله بقضايا لا توجد أصلا على قائمه أولوياته. فمواضيعهم غالبا ما تكون حول الفروقات بين المذاهب الاسلامية، وكيفيه تصنيف المسلمين ما بين ضال ومهتدٍ. هذا علاوة على قضايا وأحكام الأكل والشرب والدورة الشهرية وكيفية دخول الحمام والخروج منه... بل إن الشيخ صالح الفوزان، عضو اللجنة الدائمة للإفتاء، وعضو هيئه كبار العلماء في المملكة، أفتى قبل فترة وجيزة بتحريم «البوفيه»، مما أثار دهشة الكثيرين وجعلهم يتساءلون عن السبب، وعن الأشخاص الذين يقابلهم، وعما يدفعه لتخصيص وقت من حياته لدراسة ما إذا كانت البوفيه حراما أم حلالا!

أما علماء الطريق الثاني، فيأتي دورهم بعد بزوغ أي فجر للاحتجاج. فلا يكلون عن إصدار فتاوى التحريم والتذكير بالويل في الدنيا والآخرة لمن يخرج على ولي أمره أو يخالفه أو حتى يقدم له النصح علانية. فالمطالبة بمملكة دستورية حرام. وإنشاء النقابات والأحزاب حرام. والثورة حرام. والتظاهرات السلمية حرام. وتطول قائمه المحرمات، ويكبر ذنب مرتكبيها كلما كانت اقرب إلى الشأن السياسي. أما عن تهديد هؤلاء العلماء للناس كلما علا سقف مطالبهم فحدث ولا حرج. فقد قام الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ، الرئيس العام لـ«هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر»، بتهديد المنتقدين للنظام السعودي بأنهم سيفقدون القدرة على حماية مؤخراتهم فضلا عن أن يحموا أعراضهم!

توظيف الدين لم يعد مجديا

لطالما كان الخطاب الديني أقوى أسلحة للنظام السعودي على مدى عقود من الزمن، ولكنه لم يعد كذلك اليوم. بل أصبح توظيف الدين احد الأسباب المثيرة لغضب السعوديين على النظام. ولم تعد ألاعيب الشق السياسي والاجتماعي للخطاب الديني السعودي تمر على المواطنين، كما عبرت شيماء الماكي، احدى المحتجات في التسجيلات. وعلى اللاعبين الأساسيين في النظام ان يعوا أن من يقاتل للحصول على كل شيء غالبا ما لا يحصل في النهاية على شيء. فكلما زادت وتيرة القمع ارتفع سقف المطالب. فلم يمر وقت طويل على قمع أعضاء «الجمعية السعودية للحقوق المدنية والسياسية («حسم»)، حتى قام الشباب بتسجيل مقاطع الفيديو وبثها على مواقع التواصل الاجتماعي مبرزين بكل جرأة بطاقاتهم المدنية. ولم يمر يومان على اعتقال الدوسري والعسيري حتى أتى من يطالب بإطلاق سراحهما. وفي اليوم الثالث، أتى من يدعو الشعب للثورة. القمع ما زال مستمراً ولكن لا احد يعرف متى سيأتي هو نفسه بلحظة بدء «الفوضى»...

علي القحطاني

كاتب من السعودية

مواقع / إصدارات

«قُل» تجربة صحافية مصرية مستقلة

«ماذا عنك؟.. متى كانت آخر مرة فقدت فيها صديقاً بسبب ما يكتب أو تكتب، متى كانت آخر مرة تلقفت فيها تعليقاً سخيفاً على صورتك؟ كيف تحوّلت الحفلات إلى سباق لأخذ الصور من أجل التباهي بها لاحقاً.. متى فقدنا الاستمتاع بالحاضر بالتفكير في مستقبلنا الأونلاين؟»

هذه آخر الأسئلة التي يطرحها موقع «قُل» المصري على قرّائه. فتح باب الكتابة حول فكرة لتدخل خانة «تدوين» الخاصة بالموقع.

ما هو «قُل»؟ «أول مشروع للرأي في مصر» كما يقول القيّمون على صفحتهم على فايسبوك. أمّا الهدف فاستكتاب «العقول المنورة» من كل التيارات.

تبويب الموقع يكشف عن شموليّته: مجتمع، ثقافة، سياسة، اقتصاد، رياضة، ميديا، كاريكاتير، قل تي في وتدوين. هذا عدا تبويب «قُل» الذي يضمّ جميع الملفات الخاصة، وآخرها «دقّي يا مزيكا»: «باليه وصوفي وفلامنكو وتانجو وعلى واحدة ونص وأكروبات، هنكتب عن الرقص والرقّاصين والرقّاصات، واللي مش بيرقص بس بيحترمهم...».

وفي ملفات سابقة، دعا قُل لكتابة مقالات أو شهادات ومعلومات حول قضايا كثيرة، من «المعتقلين وحريتهم» إلى «ثورة 25 يناير كثورة وليس انقلاب» وصولاً إلى نشر ملف تفاعلي بعنوان: «الديكتاتورية لمت» كتحية ساخرة إلى «زمن الديكتاتورية الجميل».

انطلق موقع «قُل» مع بداية هذا العام. في المرحلة الأولى للمشروع، تمّ الاكتفاء بنشر مقالات رأي لكل التيارات من دون استثناء. وهذا كما يقول المشرفون، تأكيد على الهوية غير المنتمية إلى تيار بعينه، سواء الإسلاميين أم اليسار والليبراليين. هم ليسوا حياديين ولا يعملون بـ«منطق كله ماشي»، وفكرة المشروع لديها موقف حادّ من «سلطوية الدولة ومؤسساتها» التي تفرض الصوت الواحد على الجميع. وكذلك لها موقفها من الصحف المصرية التي تختار الأصوات المتناسبة مع مزاجها.

يتألف مجلس التحرير من 6 أفراد: أحمد الفخراني، أحمد علام، أمنية طلال شكر، سامح حنين، محمد عبد الله ندا، هبة اسماعيل. وهؤلاء لا يعرفون عن أنفسهم، جماعيّاً، بأكثر من أنهم حالمون طموحون «مليانين أفورة وحماس وأمل».

«قُل» موقع سلس وسهل، لا تعقيدات تحكم التنقّل فيه. ألوان هادئة مع تبويب واضح وصور بسويّة جيدة. تبدو اللمسات الشبابية ظاهرة لناحية القدرة التفاعلية أو الربط مع وسائل التواصل الاجتماعية وكيفيّة التعاطي معها. تجربة قُل المنطلقة من مبدأ أهمية الصحافة المستقلة وشكل دعمها، أكّد عليها الفخراني على صفحته على فايسبوك فور إطلاق الصيغة التجريبية: «ونحن نضع الرؤية العامة للمشروع الذي يضم الموهوبين من دون الانتصار لتيار بعينه، كان إلهام هاني درويش حاضراً، بسيرة حياته الموجزة والعامرة بتدعيم تجارب الصحافة المستقلة. سنبدأ بالتجربة والخطأ، والتطوير المستمر، خطوة بخطوة.. هل عرفتم هاني؟ إنه أنتم..إنه نحن».

http://qoll.org/

فكـرة

«حلاوة روح» ممنوع !

مُنع فيلم «حلاوة روح» في مصر. الفيلم من بطولة هيفاء وهبي، إخراج سامح عبد العزيز وسيناريو علي الجندي، ومقتبس عن فيلم «مالينا» للإيطالي جوزيبي تورنتوري. هذا كلّه ليس مهمّاً. المفيد هو رصد نوعيّة الخطاب المؤيد لقرار المنع والفورة الأخلاقيّة التي حطّت فجأة فوق رؤوس المصريين حماية لمستقبل أولادهم!

بعد أسبوعين على انطلاق العروض في الصالات للبالغين فقط، قرّر رئيس الوزراء، شخصياً، توقيف عرضه بعد ورود «شكاوى من المواطنين بخصوص المحتوى». ما هي قصّة الفيلم؟ «روح» البطلة تضطر للغناء في أحد الملاهي الليلية في القاهرة خلال غياب زوجها عنها. فتواجه متاعب كثيرة خصوصاً بعد وقوع رجال من الحي الشعبي الذي تقطنه في حبها. أمّا المشاهد التي يُحكى أنّها تسببت بقرار المنع فهي: اغتصاب هيفاء وهبي من قبل محمد لطفي، باسم سمرة يحلم أنه يقبّل هيفاء، مشاجرة بين سمرة ولطفي تتضمن بعض الألفاظ الخادشة للحياء.. والمشهد الأخير الذي يتعلّق بفستان هيفاء ويبرز مفاتن جسدها. يشارك هيفاء في البطولة «كريم الأبنودي» الطفل الذي لم يتجاوز عمره الـ13 عاماً. كريم تعرّض قبل أيام للضرب. قطعت مجموعة طريقه إلى المدرسة، وأبرحته ضرباً، مطلقين عليه عبارات من قبيل «كافر» و«مُفسد»...

حسناً، وقع القصاص على المفسدين في مصر. ضرب طفل لمشاركته في فيلم يخدش الحياء العام ليس تعدّياً أخلاقياً ولا انتهاكاً لحرمة الناس أو اعتداء على قاصر؟ ولا ندري أيّهما أكثر خدشاً للحياء العام، مشاهد الفيلم أم التصريحات التي لا تتوقف، ومنها تصريح لرئيس نادي الزمالك مرتضى منصور، وهو رجل أعمال شهير وكان مرشحاً للرئاسة (وانسحب): «الفيلم ليس حلاوة روح وإنما قفحلاوة صدر منفوخفف.

استكمال المشهد يتوجّب المرور بالأزهر الذي أشاد بقرار رئيس الوزراء «حفاظاً على قيم المجتمع المصري الأخلاقية وثوابته الدينيّة»، معتبراً مثل هذه الأعمال السينمائية «الغريبة» مساساً بالأمن الأخلاقي في المجتمع المصري واغتيالاً لعقول الشباب والأطفال. ثم حنان الغزالي، مستشارة العلاقات التربوية والأسرية، وصاحبة الدعوى لوقف الفيلم، التي تقول «فكرة الفيلم ضد أخلاقيات الشعب المصري». وأخيراً منظمة «مصريات ضد الإرهاب» (؟؟) وصفت الفيلم بـ«البورنو اللبناني».

هذه عيّنة صغيرة ممّا قيل. استنهض المجتمع المصري قواه للذود عن «الأخلاق» بوجه الهجمة الشرسة لإفساد المجتمع المصري. ربّما لا داعي للتذكير بأفلام مصرية تربت عليها أجيال، وبعضها رائع كأفلام هند رستم، أو (اقل روعة) كأفلام ناديا الجندي، وهي أمثلة من فيض. وأما حشر لبنان فسخيف وعنصري، وظيفته القول أن الفحشاء (والحروب والإرهاب الخ..) تأتي من الأغراب... كالعادة! آخر الدراسات اعتبرت مصر أسوأ مكان تعيش فيه المرأة مقارنة بالدول العربية، وأنّ 99 في المئة من النساء تعرضن للتحرش.. اذاً لننطلق حملة معاً من أجل شرف المرأة المصرية في الطرقات وضدّ التحرش.

مهما كانت سفاهة فيلم «حلاوة روح»، فلن تصل الى سفاهة ما أحاط به من قرارات وتعليقات.

زينب ترحيني

العربي السفير

قضية

70 في المئة من المنتجات الزراعية المغربية تدخل الأسواق الأوروبية معفاة من الضرائب، مقابل إعفاء من المغرب يصل إلى 97 في المئة للمواد الأوروبية المصنعة ومنها السيارات والآليات، بحسب معاهدة الشراكة بين المغرب والاتحاد الأوروبي المعمول بها منذ 1996، المجحفة أصلا، ولكن بروكسيل عدلت أخيرا في معاييرها من طرف واحد.

«ستسافرون ولأي حُلم؟»

على حائط في مخيم صبرا وشاتيلا (تصوير مجد كيّال)

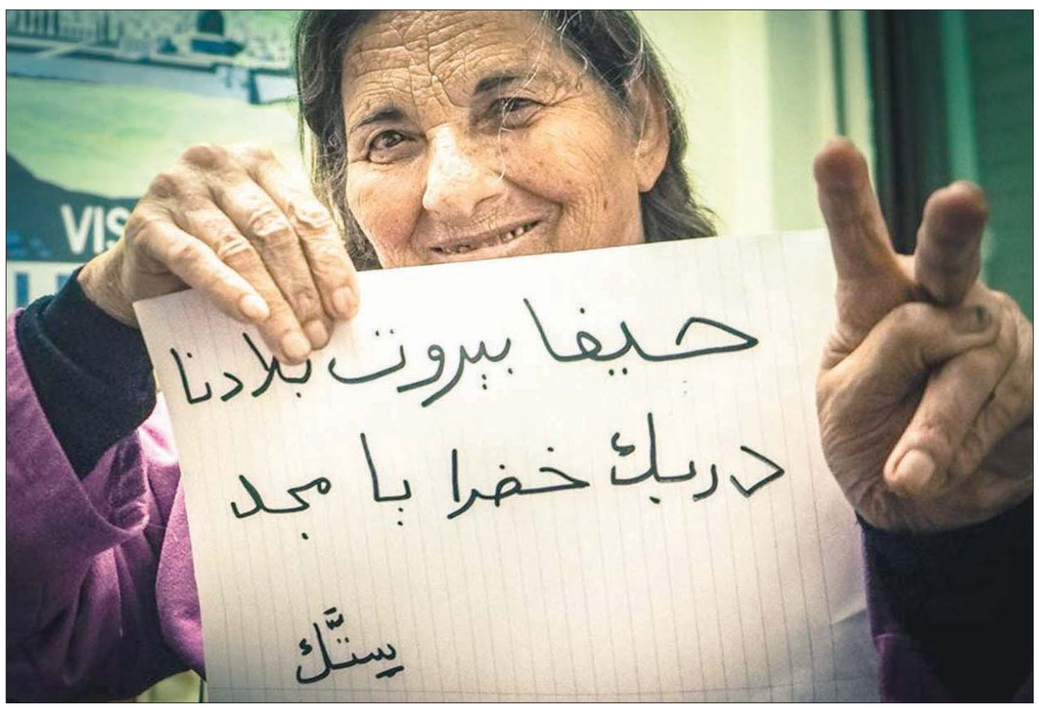

جدة مجد كيال (تصوير محمد بدارنة)

كنت أنتظر عند زقاق في مخيّم شاتيلا، بينما ذهبت زميلتي لتسأل أين يقع قبر غسّان كنفاني. هناك، أخذتني جدارية متواضعة على حائط مُنهك، كُتب فيها اقتباس لمحمود درويش: «ستُسافرون ولأي حُلم؟». التقطت صورةً وأشرت لزميلتي إلى أن هذه الجداريّة كان عليها أن تكون عنواناً لفعاليّات «السفير العربي» التي جئنا لأجلها: «حلم: نحن في العام 2054». لكننا لم نتوقّع أن يتحوّل هذا الاقتباس عنوانًا لما هو أكبر من ذلك.

على باب سجن الجلمة طلبوا منّي قبل أن أخرج توقيع ورقة ما تفصّل القوانين التي اتهمت بمخالفتها. ابتسمت طويلاً حين قرأت أن تهمة زيارة «البلد العدو» تأتي بموجب قانون المتسللين – القانون الذي سنّته إسرائيل في الخمسينيّات لتمنع اللاجئين الفلسطينيين من العودة إلى أراضيهم. هذه القوانين التي سُنّت لتقمع، تنقلب على من وضعها. لأنها بدل أن تردعك، باتت تذكرك أن حقّك وحلمك في زيارة بيروت، هو ذاته حقّك وحلمك في أن تعود إلى قريتك المهجّرة – البروة.

لا شكّ في الجوهر العنصري للأجهزة الأمنيّة التي لا تلتفت لصحافي يهودي خالف قانونًا ما بينما تلاحق صحافيًا آخر لأنه عربي. لكنّ الأهم من ذلك هو حق العربيّ الفلسطيني ـ لأنّه عربيّ فلسطيني له مكانة وحقوق تاريخية ـ في أن يتواصل مع فضائه العربيّ حيث أهلنا وأصدقاؤنا وزملاؤنا. وهناك ما هو أهم من ذلك كلّه: معنى هذا التواصل الأساسي هو تواصل الإنسان مع ذاته، مع الواقع المادّي الذي كوّن هويّته الذاتيّة وشخصيّته. بيروت حملت قدراً هائلاً من قصّتنا نحن الفلسطينيين، خاصةً لأنّها ممنوعة. لقد عاش فيها الأبطال الذين حاكوا مخيلة طفولتنا، الأحداث المركزيّة التي كنا نتشوّق لنسمع عنها، كلها كانت في بيروت. «الخروج من بيروت» حدث تاريخيّ في الفترة التي كانت فيها هذه المدينة عاصمةً لـ«الوطن المعنويّ». وكان الخروج منها بداية التنازل عن المعنويّ العادل والبحث عن فُتات دولة على فُتات أرض.

قصّتنا في بيروت حاكت دراما تاريخيّة تمكّننا من تخيّل ماضينا المشترك كشعب. وهي قصّة خلّفت إسقاطات سياسيّة تشكّل واقعنا الذي نعيشه اليوم. ولكن ما ينقص الصورة لتكتمل هو المستقبل. وأن يصنع شعب مستقبله، يعني أن يُمسك بأحلامه ويُنزلها من السماء إلى أرض الواقع، وأن يكون الناس هناك، عند نقطة التماس بين الواقع والحلم، ليشهدوا ارتطام المستقبل بالحاضر، وليشهدوا الاصطدام ويشتركوا به، حتى وإن كان مكلفاً أو مخيفاً. هذه المجازفات هي التي تجعل الناس في مجتمعنا صانعين لمستقبلهم.

ليست القضيّة قضيّة شخص. كان يُمكن أن يبدّلني في زيارة بيروت أي زميل أو صديق أو رفيق. ما يجعل القضية على أهميتها هو ما ينتظم من تضامن وموقف موحد لا تأتأة فيه، من عمل مؤسساتي مهنيّ، ومن تحرّك عاطفيّ صادق. هذا الانتظام (المهني والعاطفي في آن) هو العمود الفقري لهذه القضيّة وكل قضيّة، وعليه أن يحمل قضايا أكثر منها إلحاحاً مثل استمرار هدم البيوت ومحاولات التجنيد للخدمة العسكريّة، وهي أولويّاتنا كمجتمع فلسطيني في الداخل برأيي.

لقد كان الدعم أقوى مما كنت أتخيّله. أعرف أصدقائي ولم أقلق ولم أخف. كنت متأكداً من الدعم الهائل، وان كلا منهم يعرف دوره ويساهم بطريقته. كنت متأكداً من أن الأصدقاء في «السفير العربي»، د. نهلة الشهال وزينب ترحيني وآدم شمس الدين، يقومون بدورهم لأجل قضيّتنا بالالتزام ذاته والطاقة والحرارة اللتين لمستهما منهم في لبنان. وكنت متأكداً من أن زملائي وأصدقائي في مركز عدالة يعملون كما أعرفهم وأكثر. ان المحامين آرام محاميد، فادي خوري وسوسن زهر يعملون دون توقّف لنبش كل تفصيل قانونيّ صغير يُمكنه أن يفكّ عني القيد بأسرع ما يمكن، وان العزيزين صلاح محسن وتوم مهاجر من الطاقم الإعلاميّ لعدالة يصلون الليل بالنهار لتنكشف للعالم عدالة القضيّة التي ندافع عنها. كنت أعرف أن الرفاق الذين وقفت معهم وخلفهم في الشوارع قبل أشهر لن يتركوا أخاً في الزنازين من دون أن يقرعوا الجدران لأجله. وكنت أعرف أن عائلتي، أبي أمي وأخي، يتمتعون بكل الصلابة المبدئية. كنت متأكدًا من كل هذا، لكنّي لم أتخيّله بهذه القوّة والمحبّة والطاقة المذهلة.

«ستسافرون، ولأي حلم؟» قال الجدار في شاتيلا. تضيق القضيّة ان نُجيب أننا سنسافر إلى بيروت. لكنها تتسع إن قلنا إننا سنجعل الأحلام تنزل إلى أرضنا وتصير واقعاً. آن لأحلام أن تتحقق. آن لنا أن نحققها.

* نص وزعه مركز «عدالة» (المركز القانوني لحماية حقوق الأقلية العربية في إسرائيل ـ حيفا)، حيث يعمل مجد كيال كمحرر لموقعه على الانترنت.

مجد كيّال
كاتب فلسطيني من حيفا

أسوان: دولة مفقودة بين أشلاء مجتمع محتقن

أزمة محتقنة منذ سنوات بين النوبيين من قبائل «دابود» وقبيلة بني هلال العربية في أسوان، تجددت مطلع الشهر الجاري بسبب إساءات متبادلة كتبها شباب من الطرفين على الجدران. ما لبث التلاسن أن تطور إلى اشتباكات بالأيدي والعصي، ثم سالت الدماء، فسقط النساء والأطفال، وأحرقت الجثث بعد التمثيل بها، ونهبت حلي النساء ومواشي البيوت، وقطعت الطرق، واختطف الرهائن، وتفرّجت الدولة!

خلفية الصراع وجذوره

في أول مدينة جنوبية في أقصى جنوب وادي النيل في مصر، يعيش النوبيون المُهجّرون قسراً من بلادهم التي أغرقها بالكامل مشروع بناء السد العالي، مختلطين مع القليل من الأسوانلية الذين بدأ استيطانهم للمدينة قبل بناء السد، وقبائل عربية عدة وعائلات صعيدية وفد معظمها إلى أسوان للعمل في مشروع السد وما فتحه من آفاق غير مسبوقة للتنمية في جنوب مصر. من بين المهاجرين طوعاً من صعيد مصر (شمال أسوان) إلى المدينة أبناء قبيلة بني هلال، أو الهلايلة، الذين أتوا إليها محمّلين بالوصم والازدراء من سائر القبائل العربية المجاورة لهم في كل من الأقصر وقنا وسوهاج. يعود نبذ الهلايلة إلى قرون عدة من الصراع بينهم وبين الممالك الحاكمة لمصر في الدول الإسلامية المتعاقبة، وتعرضوا لتشنيع أخلاقي كمسوّغ للتهميش الاجتماعي شديد القسوة.

للنوبيين مظلمة حضارية وحقوقية تاريخية، يتم استدعاؤها أحياناً لإنتاج خطاب عرقي وجهوي غير مرحّب بالوافدين إلى أسوان. يتناقض خطاب النوبيين المنتشرين في أرجاء البلاد وخارجها حين يطالبون بمواطنة كاملة متساوية تثبت ببطاقة الهوية مع خطاب البعض منهم الذين يرون أنهم «أصحاب أسوان»، وأن الوافدين إليها درجة ثانية فيها. أما الهلايلة فقد أنتجوا خطاباً عرقياً وطبقياً مضاداً للدفاع عن أنفسهم ضد الحلف غير الرسمي الذي يجمع النوبيين مع الصعايدة وسائر مكونات المجتمع الأسواني، بمن فيه من مسيحيين، المتفقين جميعاً على نبذ الهلايلة ووصمهم.

يرى النوبيون أنفسهم أحفاد حضارة عمرها آلاف السنين، وأن جدّهم «مينا» هو الذي وحّد القطرين المصريين، الشمال والجنوب. فهم السكان الأصليون لجنوب مصر، وأصحاب التضحيات التي لا مثيل لها حيث تم تهجيرهم جميعا قسرياً وإغراق بلادهم كلها في مشروع بناء السد العالي عام 1964، بعد ثلاثة من التهجيرات الصغرى أثناء بناء خزان أسوان 1902، وتعليته الأولى 1912، والثانية 1933. ويرون الهلايلة غوغاء ويسمّونهم «الجمسة» وهي تسمية تطور مدلولها في جنوب مصر ليكون أقرب إلى «الغجر» بالمعنى التنميطي السلبي.

أما الهلايلة فيرون أنفسهم أبناء قبيلة عربية عريقة تمتد من الحجاز في الجزيرة العربية إلى تونس وما حولها في شمال أفريقيا، ويزعمون مصاهرة بين النبي وبين قبيلتهم الأم. ويقولون إن مشكلتهم ليست مع ذوي الأصل العريق من النوبيين وإنما مع المنحدرين من العبيد الذين استُقدموا من الحبشة قديماً ثم خالطوا النوبيين وتمت مساواتهم بهم بعد التهجير الأكبر لبناء السد العالي.

اشتعال الصراع الكامن

يمثل النوبيون مركز أسوان المهمشة من قبل القاهرة، عاصمة القهر. أما الهلايلة فيعيشون على هامش الهامش. لا تخطئ العين الأوضاع العمرانية والتعليمية والاقتصادية المتدهورة لعموم الهلايلة مقارنة بعموم النوبيين أو أي طرف قبلي آخر مقيم في أسوان، على الرغم من تداخل بعض بيوتهم مع بعض بيوت القبائل الأخرى. وتحكي الروايات المحلية أن قطاعات من الهلايلة قد استبدلت السند الاجتماعي بالاحتماء بالسلاح، فصاروا الأقوى والأكثف تسليحاً في مجتمع أسوان، لا سيما بعد الثورة وما أعقبها من انفلات أمني.

منذ عام، اندلع شجار بسبب الخلاف حول أحقية أفراد من الهلايلة في طابور أنابيب الغاز المنزلية. بدأ النوبيون بالسباب والتعالي العرقي، وكان رد الهلايلة ــ كالمتوقع ــ أعنف بدنياً، فانتهى العراك بإصابة شابين نوبيين بطلقيْن ناريين، ورقدت نار الشباب تحت رماد مصالحة الكبار. أحد المصابين صار معاقاً جزئياً بشكل دائم، فلم يجد احتقان قريبه متنفساً سوى على جدار بيت نوبي يراه الهلايلة في ذهابهم وإيابهم، فكتب عبارة مسيئة ضدهم في الأول من نيسان/أبريل الجاري. رد الهلايلة بإساءة مماثلة على جدار المدرسة الثانوية الصناعية، حيث اندلعت الاشتباكات.

كان للشرطة أن تتدخل وتحتوي الأزمة مبكراً، لكنها تقاعست ولم تتحرك إلا بعد فوات الأوان، يقول الطرفان. رفضت الشرطة التدخل في المشاجرة المدرسية صباح اليوم التالي لتلك الواقعة، فتفاقمت إلى معركة لم تنفض إلا بقنابل الغاز عند الظهيرة. وحين توترت الأجواء بعد صلاة الجمعة 4 نيسان / أبريل، واحتُجِز وفد الهلايلة الذي ذهب للمصالحة في جامع دار الضيافة في «دابود»، طلب كبار النوبيين من الشرطة التدخل لإخراج الوفد المحتجز، لكن القوات المرابطة على مداخل الحي اكتفت بموقف المشاهد السلبي.

سفكت دماء امرأة وشابين نوبيين برصاص البنادق الآلية، واختطف الهلايلة شاباً نوبياً ليبادلوه بالأربعة المحتجزين لدى النوبيين. انتهت المراسلات والوساطات بين الأهالي من الطرفين بالاتفاق على التبادل. حينها فقط أشرفت الشرطة على المبادلة ثم عادت إلى موقع المتفرج السلبي. ذهب كبار النوبيين ليدفنوا قتلاهم، واحتشد الشباب مستعينين بمدد من السلاح والرجال من خارج منطقتهم التي لم تعرف حمل السلاح من قبل. ذهبوا بدعوى القصاص فكان الثأر الهمجي سيد الموقف، وطاول القتل امرأة وطفلاً ومعاقاً مع 11 رجلاً آخرين من الهلايلة، وظلت قوات الشرطة في موقعها القريب تستمتع بنسمات الليل العليلة على أصوات زخات الرصاص وصرخات الضحايا. انتهت المذبحة فجراً، فكان انتقام الهلايلة من عائلة تقطن منزلاً وسط بيوتهم في الظهيرة. حرقت امرأتان، إحداهما مسنّة قعيدة، وقتل طفل ورجل بالغ، وكانت الجريمة بأكملها على مرأى من عيون الشرطة ومدرعاتها ومصفحاتها المرابطة على بعد 100 متر. يتبادل الطرفان الاتهامات بأن الشرطة متواطئة مع خصمه، وعلى الرغم من التناقض الظاهري في هذين الاتهامين إلا أن المشترك بينهما هو الشكوى من خذلان الدولة لمواطنيها وهي التي يفترض بها احتكار شرعية العنف: الأمن والحماية.

دولة مهلهلة تائهة

نطقت الدولة أخيراً على لسان المتحدث العسكري الذي وجه الاتهامات إلى جماعة الإخوان المسلمين، ونسجت منابر الإخوان قصتها الخيالية عن انتقام السلطة من مؤيدي «الشرعية». كان المجتمع المحلي مشتعلاً، والعقلاء يحاربون بما استطاعوا سيناريو حرب أهلية محتملا، ذلك لأن امتدادات النوبيين والهلايلة منتشرة على طول وادي النيل حتى الإسكندرية على ساحل البحر المتوسط. طار رئيس الوزراء برفقة وزيرين إلى أسوان، فالتقوا عدداً من النوبيين وآخرين من الهلايلة. اتفقت الآراء من الجانبين أن من التقاهم المسؤولون لا يمثلونهم. انتظر المفجوعون بالأخبار في أرجاء مصر أن تسفر الزيارة عن نتيجة تليق برأس الجهاز التنفيذي للدولة، لكنهم باتوا على نبأ فشل رئيس الوزراء في «عقد صلح» بين القبيلتين.

قطعت الطرق يوم الأحد 6 نيسان/أبريل عن مدد الطرفين بأقاربهم المنتشرين في نواحٍ من المحافظة خارج مدينة أسوان، وقطعت السكك الحديدية، وانتشرت نقاط التفتيش الأهلية في نواحي المدينة، وسقط عدد محدود من القتلى. أتى الشيخ كمال تقادم، الرمز الصوفي والقبلي، ونجحت وساطته في عقد هدنة من 3 أيام ليدفن كل طرف قتلاه.

أوشكت حرب أهلية أن تندلع منذ عامين بين الهلايلة والنقادية، أخلي في استعداداتها النساء والأطفال، ونصبت المدافع فوق أبنية المدارس، واحتشد الطرفان بالسلاح الثقيل والمتفجرات. لم تنته الأزمة إلا بوساطة مشتركة بين السيد الشريف الإدريسي، أكبر مشايخ الصوفية نفوذاً في جنوب مصر، والشيخ أسامة القوصي، أمير الجماعة الإسلامية في أسوان. في الأزمة الراهنة، غاب القوصي عن المشهد لهروبه إلى السودان كمطلوب لدى السلطات المصرية بعد 3 تموز/يوليو 2013، وقطع الإدريسي سفره إلى الكويت ليعود ويستكمل ما بدأه الشيخ تقادم.

خلال الزيارات الميدانية المكثفة واللقاءات المطولة مع أطراف الأزمة، لم يبدُ أن أياً من الناس يكترث لانتشار القوات الخاصة أو غير الخاصة. فالدولة أشبه بكيان وهمي لا يتوقع منه المجتمع في أسوان شيئاً. على الجانب الآخر، توافدت إلى أسوان جموع من ممثلي تحالف القبائل العربية من جنوب مصر وسيناء والصحراء الغربية، ساعية للصلح واحتواء المشكلة قبل أن تتحول إلى كارثة. وقد نجحت جهود الوساطة الشعبية في تمديد فترة الهدنة لمدة طويلة ــ لم تحدد ــ ولا يسيطر على الأذهان سوى التفكير في البديل العرفي لما تستلزمه هذه الجرائم من عدالة جنائية ناجزة، صار يقينياً أن الدولة أعجز من أن توفرها، فضلاً عن أن ترغب فيها من الأساس.

ولكن الدولة، رغم عجزها، حاضرة في وعي المجتمع المحلي ووجدانه، عبر الشعور بالافتقاد والافتقار، كما هي قوية الحضور في الخطاب والمطالبات، وإن كان الواقع يخفّض توقعات الناس من تلك الغائبة الحاضرة. ويبدو أن الدولة لا تريد أن تؤدي الدور المنوط بها، متعللة باحترام العرف والتقاليد السائدة. والمفارقة أن رئيس وزرائها قد فشل في عقد صلح يقول المتمرّسون في الوساطات الأهلية إنهم يلجأون إليه لأنهم ليسوا الدولة التي تضطلع بتنفيذ القانون.

إسماعيل الإسكندراني
باحث في علم الاجتماع السياسي ــ من مصر

احتمال قنبلة

في القطار المتجه إلى الإسكندرية يجلس راكب. بجواره مقعد فارغ وأمام المقعد الفارغ حقيبة ثقيلة. ينتبه الراكب إليها فيسأل عن صاحبها. يرد عليه راكب آخر بأنه ربما ذهب إلى الحمام. تمر خمس دقائق ولا يعود صاحب الحقيبة. الراكب يسأل بصوت عال مرة أخرى عن صاحب الحقيبة، ثم يقول : «ماتضمنش. ما البلد مش أمان»، يتجمع عدد من الركاب حوله. يقول أحدهم : «لسة النهاردة ممكن موتين واحد. منهم لله». يصرخ آخر بعصبية : «فين الأمن»، ينتبهون جميعا إن القطار قد تحرك فعلاً، يصرخ واحد «بلاش الأمن. فين مفتش القطر». ويتساءل آخر : «طيب ما نفتحها نشوف فيها إيه»، ويبدأ في محاولة فتحها، فيصرخ الراكب الأصلي : «ماتفتحهاش. افرض فيها حاجة». يجرب الذي كان يريد فتحها أن يحملها. يهتف : «تقيلة جدا». يجرب آخر حملها ويهتف : «تقيلة فعلا». واحد يقول: «وهو ليه صاحب الشنطة مايجيش يشوف شنطته»، فينظرون له محتقرين غباءه. آخر يقول: «بس هما متعودين يفجروا نفسهم مع الشنط بتاعتهم»، فيقول راكب : «متعرفش. هما دول ليهم دين ولا عهد. يسيب الشنطة ويجري وتنفجر في اللي قاعدين». مجموعات أكثر من الركاب تبدأ في التجمع حولهم. منتدى سياسي اجتماعي فكري ثقافي في القطار. شاب نائم راكناً رأسه على الشباك يصحو على نقاشهم. يقترب من الحقيبة. يبتسم بلطف للجميع ويمد يده لأخذ الحقيبة. يسألونه : «بتاعتك دي؟»، فيشير أن نعم. ويأخذها ليحملها أمامه.

الركاب يشعرون بضيق لضياع احتمال الإثارة. الراكب الأصلي يشعر بالخجل من نفسه. أحد الركاب ينظر له بعتاب فيهتف: «وانا مالي. انت مش شايف اللي بيحصل ف البلد. هو حد ضامن حاجة».

أما الشاب فيضع الحقيبة على حجره ويفكر في ما عساه يجد فيها عندما يعود لبيته ويفتحها. يفكر أنه كسب حقيبة مقابل ثلاث ساعات من احتمال رقاد قنبلة في حضنه الآن.

(نص نائل الطوخي ورسم محمد مخلوف)

العربي السفير

متابعات

84 ألف خادمة منزل أجنبية يعملن في قطر، معظمهن من دول جنوب وجنوب شرق آسيا، وتقول منظمة العفو الدولية في تقرير لها صدر منذ أيام إنهن يعشن في شروط مزرية ويعملن لأكثر من مئة ساعة في الأسبوع، ويتعرضن للتعنيف اللفظي والجسدي وللاعتداءات الجنسية أحياناً.

الاقتصاد اليمني ضحية الغارات الأميركية

لو قصدتَ شارع جمال عبد الناصر، أحد أكثر شوارع صنعاء التجارية ازدحاماً وحيوية، من أجل شراء ملابس أو مجوهرات أو أية سلعة أخرى، أثناء انقطاع التيار الكهربائي، فإن شيئاً واحداً ستجده أمام جميع المحلات، وكأنه طريقة ترحاب شارع الزعيم بضيوفه: أهلاً بكم في شارع الـ«مواطير».

هذا الشيء الذي يدعوه اليمنيون بـ«الماطور» (في تعريب للكلمة الانجليزية) هو نفسه المولّد الكهربائي. إنه في كل مكان. إذا لم تشاهده أمام المحلات التجارية، فما من طريقة تحول دون تنشّق ما ينفثه من ثاني أوكسيد الكربون في ذرات الهواء. وإذا لم تشعر برائحته، أو تميزها، فليس بمقدورك التحدث عبر الهاتف، أو سماع رنينه عند تلقيك اتصال، لكثرة وشدة ضجيج المولدات الكهربائية.

لا يكاد يخلو بيت، أو محل، أو مستشفى، أو شركة من «ماطور». إنه أوضح دليل على عدم ثقة المواطن بحكومة يُفترض أنه هو، وفق العرف الديموقراطي، من يمنحها الثقة.

يذكّر «الماطور» اليمنيين يومياً بغياب الدولة وضعفها ويساعدهم على التكيّف السلبي معها وتقبّلها بأقل قدر من السخط، حتى أن انقطاع الكهرباء صار حدثاً عادياً لا يثير غضب اليمني ولا يستفزه، وكأنه من فعل الطبيعة كغروب الشمس وهطول المطر والقضاء والقدر.

هكذا يحدث الأمر: مخرّب أو شيخ على بُعد 173 كيلومتراً من العاصمة، أو أقل، يقرر الاعتداء على الكهرباء لأي سبب من الأسباب، كاعتقال أحد أقاربه، أو رغبةً في الحصول على هبة حكومية، أو مقتل أقرباء بغارة أميركية، فيصوّب قذيفة أو يطلق زخة رصاص على خطوط الضغط العالي، أو يرمي خطّافاً يُدعى «خبطة» على خطوط النقل، فتخرج المحطة فوراً من الخدمة. وقبل أن يتلقى مشتركو وكالة الأنباء اليمنية رسالة إخبارية sms عبر هواتفهم تكون العاصمة قد غرقت في الظلام. لحظات وتُسمع حنْحنة المولدات الكهربائية.

يكفي أن تسير في شارع جمال عبد الناصر مسافة نصف كيلومتر، من السفارة المصرية حتى ميدان التحرير وتفرعاته، لتتعرف على سلالاتٍ وأجيالٍ من الـ«مواطير»، وتحدثك نفسُك بأن كل حاوية قادمة من الصين إلى اليمن، عبر تجار يمنيين طبعاً، إنما تحمل مولدات كهربائية أو كشّافات إضاءة بالضرورة.

كان «الماطور» قبل سنوات أمارة ترف ورفاهية في المجتمع اليمني. يكفي أن يُسمع صوته من أي منزل حتى يُستنتج أن مالكه إما مسؤول في الدولة أو رجل أعمال. بيد أن الأمر اختلف منذ مقتل نائب محافظ مأرب جابر الشبواني في 24 أيار/مايو 2010 بغارة خاطئة لطائرة أميركية يعاقب اليمنيون جماعياً بسببها. وقتها اندلعت معارك عنيفة بين قبائل عبيدة، التي ينتمي لها الشبواني، وقوات الجيش. وبعد أسبوع على الواقعة، توعدت «كتائب العهد والميثاق لجابر الشبواني ومرافقيه» بالرد، فقصفت المحطة الكهربائية بالأسلحة الثقيلة، وغرقت صنعاء في الظلام أياماً. تلك كانت لحظة فارقة في حياة اليمنيين.

حتى ذلك الوقت، كان انطفاء الكهرباء يحدث بشكل متقطع، وبمعدل ساعتين، بسبب العجز التراكمي في التوليد وزيادة الطلب سنوياً بنسبة 9 في المئة. منذ تلك الغارة، صار انقطاع الكهرباء عادةً تحدث بفعل فاعل بالضرورة، وتحوّل إلى أداة ابتزاز وحرب بين الحكومة ورجال القبائل، بل وبين الغارات الأميركية وتنظيم القاعدة.

انحنت الحكومة للعاصفة واعتذرت بالنيابة عن غارة واشنطن الخاطئة غافلة عن أنها بذلك إنما تحثّ كل من أراد تركيع الدولة على فعل الشيء ذاته: ضرب محطة الكهرباء. وبالفعل، اندلعت الانتفاضات العربية بعد شهور، وخرجت التظاهرات المطالبة بإسقاط النظام مطلع 2011 في مدن يمنية عدة، فصار ضرب محطة الكهرباء عادةً يومية ونوعاً من الإدارة بالأزمات، يتبادل الاتهام بشأنه النظام والمنشقون عنه. تحولت الكهرباء إلى وسيلة تعذيب وعقاب جماعي.

في كتابه «الحرب الكبرى تحت ذريعة الحضارة»، يذكّر الصحافي البريطاني روبرت فيسك أن الأفغان العرب هم أول من نفذ عملية اعتداء على خطوط الكهرباء لتعطيل تحرك القوات الروسية في أفغانستان. انتقلت الفكرة إلى الجزائر وأصّلت الجماعات الإسلامية لها شرعياً لاستخدامها ضد الحكومات المحلية «الفاجرة». ومع الوحدة بين شمال وجنوب اليمن في أيار/مايو 1990، بدأت عودة المجاهدين العرب الأفغان، ومعظمهم يحملون الجنسيتين اليمنية والسعودية، بالتنسيق مع نظام الرئيس السابق صالح وحليفته في الحرب الباردة واشنطن، لاستخدامهم بحرب صيف 1994 ضد شريك الوحدة: الحزب الاشتراكي اليمني.

رحل «الشيطان» الشيوعي فانفض الحلف بين الحكومة و«المجاهدين». وفي كانون الاول/ديسمبر 1998 صدرت أحكام قضائية بحق عناصر من تنظيم «جيش عدن أبين الإسلامي» بتهمة التخطيط لهجمات ضد السفارة البريطانية. رد التنظيم بعد أيام باختطاف 16 سائحا، أصيب أربعة منهم أثناء مداهمة الجيش. في تشرين الاول/أكتوبر 1999، أعدم مؤسس التنظيم أبو بكر المحضار. وكانت تلك نقطة اللاعودة.

غير إن القاعدة لم تدرج حقول وأنابيب النفط اليمنية في قائمة أهدافها إلا في آذار/مارس 2002، أي بعد ثلاثة أشهر من أول غارة أميركية استهدفت قائدها المحلي أبو علي الحارثي.

كانت القاعدة تستهدف المصالح الغربية حصراً (المدمرة كول – فندق لمبيرج ــ سفارات – اختطاف سياح – شركات نفط أجنبية). بعد الغارة الأميركية شرَعت القاعدة في «يمْنَنَة» هجماتها، فصار أنبوب النفط، وسائر المصالح الحكومية، أهدافاً مشروعة. وتلك هي الكارثة: اليمن داخلة في الخسارة لكنها خارج «الأرباح».

إن نكبة الاقتصاد اليمني الحالية تعود لغارتين أميركيتين: غارة الحارثي شرّعت استهداف أنبوب النفط، وغارة الشبواني شرّعت استهداف الكهرباء. بدليل أنه من بين 48 هجوماً للتنظيم بين 1992 – 2009 فإن هجوماً واحداً فقط استهدف محطة كهربائية، وخمسة هجومات استهدفت منشآت نفطية (حسب قائمة لمركز كارنيغي أعدها كريستوفر بوشيتك صدرت ضمن كتاب «اليمن على شفا هاوية»).

6 هجمات إذاً خلال 17 سنة مقابل مئات الهجمات خلال ثلاث سنوات (2011 – 2014) بخسائر قدرتها الحكومة بـ4.7 مليارات دولار. وهنا تتضح هشاشة العلاقات اليمنية الأميركية وسلبيتها. ذلك أن مساعدات واشنطن لصنعاء خلال سنوات لا تكاد تغطي خسائر عام واحد في قطاع الكهرباء.

إن اليمن وباكستان في طليعة الدول الشريكة بالحرب على الإرهاب، وأكثر دولتين تنتهكهما الطائرات الأميركية في العالم، لكن «مساعدات واشنطن لليمن عام 2009 بلغت 27.5 مليون دولار فقط، مقابل 1.8 مليار دولار لباكستان عام 2008».

وفي كل مرة تُضرب الكهرباء يتساءل المواطن اليمني لم لا تستهدف الطائرات من دون طيار المخربين؟ بدلاً من ذلك يسقط مدنيون وأبرياء في الغارات الأميركية، كما في موكب عرس في رداع، فتزداد الأمور تعقيداً ويكتسب تنظيم القاعدة، والجماعات المسلحة، المزيد من التعاطف.

لقد تغيرت أمور كثيرة خلال الثلاث سنوات الماضية: غادر رئيس وجاء آخر، رحلت حكومة وحلّت أخرى، وذهبت القوى السياسية إلى مؤتمر الحوار، وتغير شكل الدولة من دولة بسيطة إلى مركبة... لكن الشيء الوحيد الذي لم يتغير هو الاعتداء شبه اليومي على محطة الكهرباء الذي صار عادةً. والعادات السيئة يصعب الإقلاع عنها.

نادى شباب الثورة بإسقاط النظام. غير ان المبادرة الخليجية، وبمباركة أميركية، حصّنته وحمته من السقوط. وحدها محطة مأرب الغازية سقطت أو تكاد، ومعها اقتصاد اليمن.

محمد العبسي

(كاتب صحافي من اليمن)

حلم ..

نبيل عناني / فلسطين

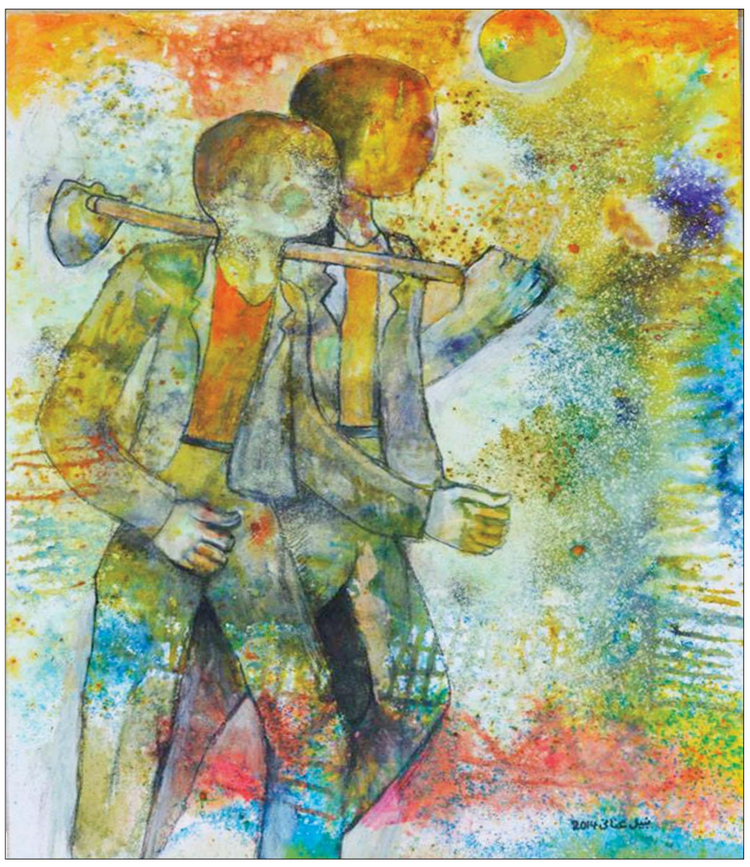

arabi@assafir.com

- القنوات الفضائية في الجزائر ـ مبروك بوطقوقة
- بمناسبة «اليوم العالمي للقراءة» دروب القراءة الوَعِرة ـ منى علاّم
- «النقابات المستقلة» في مصر ومخاطر البيروقراطية ـ مصطفى بسيوني
- أكراد الأردن: لا هم عشيرة ولا هم أقلية ـ أحمد أبو حمد

تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي ـ Assafir Arabi
تابعونا على «تويتر»: السفير العربي - @Arabi Assafir

.. بألف كلمة

شمّ النسيم يا محلاه..

عيد تجدد الحياة، صنو الفصح ونوروز والفرح بقدوم الربيع. هنا، المصريون يحتفلون به على الرغم من الفقر والأزمات

(تصوير عمرو نبيل ـ أ ب)

مدونات

الكرسي المتحرك يهزم بن فليس

«بنسبة 81 في المئة تغلب الرئيس المترشح لعهدة رابعة «عبد العزيز بوتفليقة» على منافسه الأبرز «علي بن فليس» الذي لم يحصد إلا 12 في المئة من أصوات الناخبين.

ظهر بوتفليقة يوم الانتخاب على كرسي متحرك لا ينطق بكلمة، يوجهه مرافق شخصي له.. وفي عيني الرئيس جحوظ وآثار مرض بادية، كما لوحظ به شبه عجز عن الاستجابة السريعة لأي فعل.. لم تتنقص هذه الحال من صورة الرئيس المعهودة في أذهان الجزائريين الذين لم يبخلوا عليه بأصواتهم ـ ونخص بالذكر هنا الذين انتخبوا أساسا ـ وكانوا حوالي 8 ملايين مواطن، ولكن السؤال البريء هنا يأتي من عملية حسابية جد بسيطة: الجزائريون يفوق عددهم 39 مليون نسمة، ومن يحق لهم التصويت هم 23 مليونا، صوت منهم لبوتفليقة 8 ملايين فقط.. بمعنى أن 15 مليون جزائري لا يهتم بصاحب المنصب إطلاقا.. هنا: ما محل هذه الأغلبية الرافضة أو الصامتة؟؟

في السابق كان الحكام يأتون على دبابات، أما الآن فأصبحوا يأتوننا على كراسي متحركة.. ولا أدري ما السبب الذي غيّر المعادلة.

http://maamaraissani.blogspot.com/
معمر عيساني الجزائر

#انتخبوا_المرحوم

«فاز عبد العزيز بوتفليقة بانتخابات الرئاسة الجزائرية، والمغردون يسخرون من مشهد إدلائه بصوته الانتخابي وهو على كرسي متحرك، ويستخدمون هاشتاغ #انتخبوا_المرحوم لتهنئته بكرسي الرئاسة المتحرك.

من دون أن يحتاج بوتفليقة للقيام بحملة انتخابية أو لسرد إنجازاته خلال عقد ونصف من حكم الجزائر، ومن دون أن يحتاج إلى تزوير الانتخابات أو دفع الأموال للعاطلين عن العمل حتى يصوتوا لمصلحته، ومن دون أن يتحرك من على كرسيه المتحرك.. يفوز بانتخابات الرئاسة منذ الجولة الأولى وبفارق كبير عن أقرب منافسيه علي بن فليس.

عند وصوله أول مرة للحكم، لم يحتج بوتفليقة للتزوير، فقبل يوم من إجراء انتخابات الرئاسة في سنة 1998 انسحب جميع المرشحين المنافسين بحجة دعم الجيش له، ليبقى هو المرشح الوحيد للانتخابات. ووصفته الأوساط السياسية آنذاك بالرئيس «المستورد»، أتى به الجنرالات الذين قادوا انقلاب التسعينيات ليكون هو رئيساً ويكونوا هم حكاماً من خلفه. تفرق الجزائريون ما بين مصوتين لبوتفليقة خوفاً من الفوضى ومصوتين لبن فليس، المرشح الأقوى في وجهه، وكان في السابق رئيس حكومة بوتفليقة لحوالي 3 سنوات، ومقاطعين للانتخابات لعدم اقتناعهم بجدواها، اتحد المغردون خلف هاشتاغ #انتخبوا_المرحوم، ساخرين من مشهد إدلاء بوتفليقة بصوته...»

مدونة: نون بوست
http://www.noonpost.net/

حين لا ينفع الندم

ما حدث في احتجاجات 1 آذار/مارس فتح أعين الكثيرين بأن الوضع يمكن تغييره، أمر ما تحرك في نفوس من تابع الاحتجاج السلمي وعمليات الاعتقال بالجملة. وإذا كان الخروج إلى الشارع في الجزائر أمر خطير، لما قد يؤدي من انفلات وفوضى، إلا انه من حسن حظ النظام أن من خرجوا يوم 1 مارس هم مجموعة من المثقفين والإعلاميين الشجعان المدركين جيدا لخطورة الوضع، وكيفية الاحتجاج عليه.. لكن في حال توسع رقعة المحتجين إلى فئات أخرى، حينها لن يجد الأمن نفسه أمام مثقف أو إعلامي يناقشه بأن «الدستور الجزائري يكفل لي حرية التعبير».. بل سيجد الأمن نفسه وسط من يحرقه ويحرق نفسه أيضاً وليحترق الدستور الجزائري معه.

الكرة الآن في مرمى بوتفليقة ومن معه.. ما حدث بالأمس القريب ما هو إلا إنذار. الصمت المخيف للشعب الخائف من الفوضى ومن الدمار لن يدوم طويلاً ولا يمكن الركون إليه. هناك من سيرفعون رؤوسهم الآن وقد علت آمالهم بأن بإمكانهم فعلها.. ما حدث يجب أن يلفت نظر النظام إلى أنهم ليسوا وحدهم، ولن يستطيعوا اللعب كما يحلو لهم.

مدونة: عصام حمود
http://www.hamoudstudio.com/